الفكر التربوي عند الماوردي من خلال كتابه أدب الدنيا والدين

إعداد

أ / عزيز بن عوض المالكي

باحث دكتوراه – كلية التربية– جامعة أم القرى

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين،

وبعد:

يمثل الفكر التربوي الإطار النظري ، لما يحتاجه المجتمع في بناء نظامه وبرامجه التربوية ووضع أسسها وقواعدها ويشير الكيلاني إلى " أن النمو الحضاري والنمو الفكري يسيران جنباً إلى جنب ، وما الفكر التربوي إلاّ نتاج حضارة عريضة ، امتدت على مدار أربعة عشر قرناً من الزمان وقد استمد قوته وحيويته من الدين واستطاع الفكر التربوي الإسلامي ، أن ينتج الإنسان الصالح القادر على التكيف مع واقعه"[١] .

وتأتي دراسة الفكر التربوي الإسلامي ، في كل مرحلة من مراحل التاريخ ، " لتمكن الدارس من الوقوف على أفضل الأساليب وأجداها ، في إعادة صياغة عقلية الإنسان المسلم في ضوء التغيرات ، بدلاً من الوقوف جامداً ، حيال ما يجري حوله من أحداث"[٢] .

وعلى الرغم من أن لكل مجتمع من المجتمعات، فكره التربوي الخاص به وأن ما يصلح لمجتمع لا يصلح لآخر، إلا أن المتفحص لمناهجنا التربوية في العالم العربي يجدها – في كثير من جوانبها — متأثرة بالفكر الغربي.

وقد نتج عن ذلك " معاناة الواقع التربوي العربي والإسلامي ، من الازدواجية الخطيرة، الناتجة عن التبعية وفقدان الأصالة والذاتية ، التي ولّدتها العلمانية في جميع مظاهر الحياة واتخذت لها أبعاداً خطيرة ، أدت إلى الثنائية والانشطار في الكيان الاجتماعي والفكري"[٣].

وخروجاً من دائرة التخلف والضعف الحضاري والتراجع في مجال الفكر التربوي، كان لا بد من إعادة النظر في تراثنا الثقافي، لنجد فيه ضالتنا ونستلهم منه عوامل نهضتنا من جديد.

أن لكل مرحلة زمنية، سماتها وعلمائها وفكرها المنبثق عن حركتها الحضارية والإنسانية والعلمية، حيث لا تخلو حقبة من نمو في حركة الفكر التربوي الإسلامي، مهما أصابها من الضعف.

---

[١]) الكيلاني، ماجد عرسان: تطور مفهوم النظرية التربوية، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٥م، ص ٢٦٥.

[٢]) النباهين، على ، ١٩٩٥م: أصول التربية الإسلامية، جامعة الأزهر، القاهرة، ط١، ص ٨.

[٣]) خياط، محمد، ١٩٩٦م: التحدي الإعلامي في مجال التربية، دراسات تربوية واجتماعية، كلية التربية، جامعة حلوان، العدد الأول، ص ٥٧.

وسوف يسلط الباحث الضوء على أحد مفكري العالم الإسلامي وأحد رموزه التربويين وهو الإمام أبو الحسن الماوردي، والذي كان له مؤلفات عديدة متنوعة في العقيدة والفقه واللغة والسيرة والسياسة الشرعية والأخلاق والتربية، وليس بمستغرب أن تجد العديد من الباحثين قد عنوا بمؤلفاته دراسة وتحليلاً، والكشف عن منهج هذا العالم الفاضل وآراؤه القيمة، وأثروا المكتبات الإسلامية بالعديد من المؤلفات العلمية كانت نتائج دراسات وتحقيق لمؤلفات الماوردي، وأبرزت دور علماء المسلمين الأوائل.

ويعتبر الإمام أبو الحسن الماوردي علم من أعلام التربية الإسلامية، ومفكر تربوي له آراء ونظرات في التربية والتعليم جديرة بالاهتمام والدراسة، وكان من أبرز أعماله التربوية كتاب أدب الدنيا والدين، والذي هو محور بحثنا هذا والذي قدم من خلاله تراثاً فكرياً تربوياً، جاء بين سطوره، مختلطاً بآراء وأفكار عديدة ومع ذلك لم يأخذ هذا الكتاب، حقه من الدراسة التربوية إلا ما ندر، في حين أهتم الباحثون بدراسة نتاجه العلمي من خلال كتبه المتعددة.

ومن هنا تمخضت فكرة الدراسة وهي الفكر التربوي عند الإمام أبي الحسن الماوردي، علماً بان الباحث قد أهتم بدراسة كتابه أدب الدنيا والدين، حيث لاحظ غناه بالمضامين التربوية العديدة.

مشكلة الدراسة:

يعتبر كتاب أدب الدنيا والدين للماوردي من أهم كتب التراث الإسلامي القديم الذي تناول الجوانب التربوية – الأدب والأخلاق – حسب مفهوم ذلك العصر.

وقد قام العديد من العلماء والباحثين بدراسة شخصية الإمام الماوردي وآراؤه من خلال كتبه ومصنفاته المتنوعة في مختلف التخصصات ، ومن أهم مصنفات الماوردي التي لم تشبع دراسة وبحثاً كتاب : أدب الدنيا والدين، ذلك الكتاب الذي حوى مجموعة من الآداب والأخلاق التربوية ، والذي صنف في القرن الرابع الهجري ، ويعد من أول الكتب التربوية إن لم يكن أولها ، فله السبق في فنه ومحتواه، ومع ما يحتويه هذا المصنف العظيم من آراء تربوية ، إلا أنا نجد أن الباحثين والمحققين لم يعطوا هذا الكتاب حقه من التحقيق والتحليل والاستنباط لما يحويه من آراء تربوية حصينة.

ويحاول الباحث في هذه الدراسة استنباط بعض الآراء التربوية من هذا الكتاب القيم للعالم الفذ الامام أبي الحسن الماوردي رحمه الله تعالى.

تساؤلات الدراسة:

في ضوء ما سبق، يمكن صياغة السؤال الرئيس التالي:

ما الفكر التربوي عند أبي الحسن الماوردي من خلال كتابه أدب الدنيا والدين؟

ويتفرع عن السؤال الرئيس، الأسئلة الفرعية التالية:

١- ما أبرز معالم العصر الذي عاش فيه أبي الحسن الماوردي؟

٢- ما هي ملامح فكر أبي الحسن الماوردي؟

٣- ما هي وجهة نظر الماوردي للتربية؟

٤- ما نظرة الإمام الماوردي للتعليم والتعلم؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى ما يلي:

١- الوصول إلى معرفة الفكر التربوي لدى أبي الحسن الماوردي.

٢- التعريف بأبي الحسن الماوردي ومعرفة أبرز معالم العصر الذي عاش فيه.

٣- بيان نظرة أبي الحسن الماوردي للتربية وأهدافها والعوامل المؤثرة فيها.

٤- التعرف على وجهة نظر الماوردي للتعلم والتعليم.

أهمية الدراسة:

تكتسب الدراسة أهميتها من خلال ما يلي:

١- كونها تتناول دراسة شخصية إسلامية تعد من أبرز علماء الشريعة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، والذي استطاع أن يقوم بتوظيف علمه الشرعي في جميع مجالات الحياة الإنسانية والعلوم الإسلامية، والاقتصاد، والسياسة، والتربية، حتى أصبح نتاجه العلمي من المؤلفات القيّمة مصدراً أساسياً للعلماء والباحثين في شتى مجالات العلوم الشرعية والتربوية.

٢- كونها محاولة للكشف عن جوانب فكرية تربوية في تراثنا الإسلامي والتأصيل لها مما يعد خطوة نحو بناء نظرية تربوية إسلامية.

٣- يمكن أن يستفيد من نتائج هذه الدراسة المهتمين بالفكر، والتربية الاسلامية، والقائمين على تأصيل العلوم التربوية.

٤- تفتح الدراسة الطريق أمام الباحثين التربويين، لإجراء المزيد من الدراسات حول كتاب أدب الدنيا والدين للإمام أبي الحسن الماوردي.

٥- افتقار الدراسات البحثية المحكمة لمثل هذه الدراسة والتي تختص ببيان فكر الإمام الماوردي من خلال كتابه أدب الدنيا والدين.

حدود الدراسة:

اقتصر الباحث في دراسته على إبراز جهود وآراء وفكر العالم أبي الحسن الماوردي رحمه الله تعالى من خلال الحدود التالية:

الحدود الزمانية: وتشمل عصر الإمام أبي الحسن الماوردي والذي عاش في الفترة ما بين (٣٦٤ هـ-٤٥٠ هـ)

الحدود الموضوعية: ونقتصر فيها على فكر وآراء الإمام أبي الحسن الماوردي من خلال كتابه التربوي (أدب الدنيا والدين).

مصطلحات الدراسة:

تستخدم الدراسة المصطلح التالي:

الفكر التربوي:

الفكر في اللغة : يعرف بأنه " إعمال الخاطر في الشيء "[٤] ، وقيل هو : " إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول "[٥] .

ويقصد بالفكر في الاصطلاح: "اسم لعملية تردد القوى العاقلة المفكرة في الإنسان، سواء أكان قلباً أو روحاً أو ذهناً بالنظر والتدبر، لطلب المعاني المجهولة أو الوصول إلى الأحكام أو النسب من الأشياء"[٦] .

[٤]) ابن منظور، محمد بن مكرم ، ١٤٢٦ هـ: لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ج ١ ، ص ٦٤١

[٥]) أحمد، نصار سيد، واخرون، ١٤٢٩هـ: المعجم الوسيط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١ ، ص ٥٢٩

[٦]) العلواني، طه ،١٩٩٢م: الأزمة الفكرية المعاصرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ٢٧ ص.

وعرف الفكر التربوي بأنه: "عبارة عن جزء من فكر إنساني مبدع ، يتسم بالديناميكية والتطور المستمر في ميدان التربية ويستند إلى تاريخ المجتمع وفلسفته وثقافته وصفاته وحاجاته"[٧].

كما عرف بأنه: " ما أبدعته عقول الفلاسفة والمربين عبر التاريخ ، فيما يخص مجال التعليم الإنساني ، وتنمية الشخصية وشحذ قدرتها ، ويتضمن النظريات والمفاهيم والقيم والآراء التي وجهت عملية تربية الإنسان عبر العصور "[٨] .

ويُعرف الباحث الفكر التربوي هنا بأنه جملة المفاهيم والآراء والتصورات والمبادئ التربوية المستمدة من الكتاب والسنة والاجتهاد الموافق لروح الإسلام، من خلال إعمال الفكر.

وأما الفكر التربوي عند أبي الحسن الماوردي فيمكن تعريفه إجرائياً بأنه: جملة من المفاهيم والآراء والتصورات المتضمنة في كتاب أدب الدنيا والدين والمتعلقة بخصائص المنهج الإسلامي في التربية والطبيعة الإنسانية والقيم والتغير الاجتماعي والثقافي والأسرة المسلمة كوسيط تربوي وتربية الجماعة المسلمة.

منهج الدراسة:

سوف يقوم الباحث بدراسة سيرة الإمام الماوردي، ودراسة كتابه أدب الدنيا والدين ، وتحليل محتوى هذا الكتاب ، واستنباط أبرز الآراء التربوية للإمام الماوردي في هذا الكتاب ، وقد استخدام الباحث المنهج الوصفي، الذي يعرفه أبو سليمان بأنّ "موضوعه الوصف، والتفسير، والتحليل، في العلوم الإنسانية من دينية واجتماعية وثقافية، ولما هو كائن من الأحداث التي وقعت لملاحظتها ووصفها وتعليقها وتحليلها، والتأثيرات والتطورات المتوقعة، كما يصف الأحداث الماضية وتأثيرها على الحاضر، ويهتم أيضاً بالمقارنة بين أشياء مختلفة أو متجانسة، ذات وظيفة واحدة أو نظريات مسلمة"[٩].

[٧]) مصطفى، شريف،١٩٩٠م: الفكر التربوي الإسلامي، دائرة التربية والتعليم، الأونروا، عمان، ص ٢٣٩

[٨]) زيادة، مصطفى عبد القادر ، ١٤٢٧هـ: تجديد الفكر التربوي العربي ومطالبه في القرن ٢١ ، مكتبة الرشد، الرياض، ط٣ ، ص ٢١.

[٩]) أبو سليمان، عبد الوهاب إبراهيم ، ١٤٣٣هـ: كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، ط١، الرياض، مكتبة الرشد – ناشرون، ص٣٣

الدراسات السابقة:

بعد الرجوع إلى مراكز البحوث العلمية والمكتبات الجامعية للبحث عن عنوان لمثل هذه الدراسة لم يقف الباحث على دراسة منشورة أو متاحة للاطلاع.

المبحث الأول: عصر الإمام أبي الحسن الماوردي

أمتاز عصر الماوردي بجوانب عديدة كان لها التأثير البالغ في نبوغه العلمي والفكري، وسوف نستطرد في هذا المبحث عن بعض العوامل التي كان لها أثر واضح على نشأة هذا الإمام الفذ والتي تنحصر في البيئة السياسية، والبيئة الاجتماعية والاقتصادية، والبيئة العلمية والفكرية.

البيئة السياسية:

تميز عصر الماوردي بوجود صراعات وانقسامات سياسية ومذهبية مع ما صاحب ذلك من ذيوع الفتن والاضطرابات، والعبث بسلطان الخلفاء، ونلاحظ هنا ارتباط السياسة بالتمذهب الديني، حتى إننا نلاحظ ظهور ثلاث دعوات سياسية ودينية، تتمثل في: البويهيون ومثلوا الشيعة في دعوتهم الإمامية، والفاطميون والذين مثلوا الشيعة في دعوتهم الإسماعيلية، والعباسيون الممثلون للمذهب السني.

وقد وقع الخليفة العباسي تحت النفوذ البويهي، "وشهدت بغداد اضطرابات ومذابح بين السنة والشيعة وأصبحت نهباً للصوص والقتلة والغوغاء بسبب الفوضى السياسية وعدم استتباب الامن، وكان هذا طابعا للعصر رغم فترات الهدوء النسبي.

ومع انتهاء العصر البويهي، بدأ عهد السلاجقة الذين دخلوا بغداد عام ٤٤٧هـ ، . وهم سنيون . وبدأ عصر سياسي جديد"[١٠]، وكذلك تغير الفكر والاتجاهات الفكرية.

وشهد العصر أيضا ازدهار الخلافة الفاطمية في مصر ، "وغدت تشكل خطراً على الخلافة العباسية، بعد أن ظهرت نواياهم نحوها، وهدفوا إلى إسقاطها ، وفعلا استطاعوا دخول دمشق ، إلا أن الفاطميين لم يستطيعوا تحقيق هدفهم في إسقاط الخلافة ودخول بغداد، وفي هذا العصر أيضا سقطت الدولة الفاطمية وانتهى أمرها"[١١] .

ويمكن إيجاز معالم الناحية السياسية في عصر الماوردي فيا يلي:

[١٠]) مصطفى، علي خليل ١٤١١هـ: قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي من خلال كتابه أدب الدنيا والدين، دار الوفاء، المنصورة، ط ١، ص٣١

[١١]) مصطفى، علي خليل: قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي من خلال كتابه أدب الدنيا والدين، مرجع سابق، ص٣٢

١- تجزؤ وانقسام الدولة العباسية إلى دويلات:

ومن أشهر الدويلات في هذا العصر الأغالبة، والغزنوية، والفاطمية والبويهية والسلجوقية.

٢- ضعف الخلفاء وضياع هيبتهم:

منذ بداية القرن الرابع الهجري، كان الخلفاء العباسيون قد فقدوا السلطة الفعلية في إدارة الدولة، بالرغم من استقرار أحوالهم الشخصية، وقد زاد الأمر خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، والنصف الأول من القرن الخامس الهجري وكان أمر الدولة في يد البويهيين الذين استبدوا بالحكم ووضعوه كله في أيديهم، مما ترتب عليه ضعف مركز الخلافة العباسية، حتى غدا الخليفة ألعوبة في أيديهم[١٢].

البيئة الاجتماعية والاقتصادية:

إن الحالة الاجتماعية والاقتصادية كانت امتدادا لما سبق العصر من عصور سابقة ، من حيث التركيب الاجتماعي الطبقي، حيث وجدت طبقات اجتماعية مختلفة، " فالطبقة العليا كان يحتلها الخلفاء والأمراء والوزراء والقادة والولاة، والقضاة، ومن يلحق بهم، ورؤساء التجار وأصحاب الإقطاع من ذوي الأعيان ، أما الطبقة الوسطى فكانت تشتمل على رجال الجيش وموظفي الدواوين والتجار والصناع المهرة، والطبقة الدنيا كانت تشتمل على العامة من الزراع وأصحاب الحرف الصغيرة والخدم والرقيق"[١٣] ، وهذا مع اختلاف بين هذه الطبقات في المستوى الاقتصادي والاجتماعي، فكانت الطبقة العليا تعيش في نعيم وترف، أما الطبقة الوسطى فكانت ذات يسر لما كانت تقوم به من نشاط اقتصادي يخدم الطبقة العليا .

أما الطبقة الثالثة فهي طبقة العامة، وهي التي كان يقع عليها عبء العمل كله في الزراعة أو الصناعات الصغيرة أو الخدمة، كانت طبقات كادحة، تعاني معاناة حقيقية ، من غلاء الأسعار وإقفال الأسواق الذي تكرر أكثر من مرة[١٤].

يقول ابن كثير عن سنة ٣٧٣ هـ "و فيها غلت الأسعار ببغداد حتى بلغ الكر[١٥] من الطعام إلى أربعة آلاف وثمانمائة ، ومات كثير من الناس جوعا، وجافت الطرقات من الموتى من الجوع ،وفي ٣٨٢هـ غلت الأسعار حتى بيع رطل الخبز بأربعين درهما والحرز[١٦] بدرهم"[١٧].

---

[١٢]) المرجع السابق، ص٣٣-٣٥

[١٣]) المرجع السابق، ص ٣٦

[١٤]) مصطفى، علي خليل: قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي، مرجع سابق، ص ٣٦

[١٥]) الكُرُّ: مكيال لأهل العراق، أو ستون قفيزاً، أو أربعون إرباً (المعجم الوسيط ، ١٩٦٠م، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ص١٨٦)

وقد أدى هذا – بين العامة – إلى " انتشار الدجل والتخريف وتعلق الناس بالأسباب الموهمة في الحصول على الغنى لعجزهم عن تحصيله بالوسائل المعقولة، فكان الاتجاه إلى التنجيم والاعتقاد في الطوالع التي تسعد وتشقي، والانصراف إلى الكيمياء التي تقلب النحاس والقصدير ذهبا ، والالتجاء إلى دعوات الاولياء لعلها تتحقق فينقلب فقرهم إلى غنى، بالإضافة إلى هذا الاعتقاد في السحر والطلاسم ونحو ذلك"[١٨].

البيئة العلمية والفكرية:

ظل التيار العلمي والحضاري – فكريا وماديا – في القرن الرابع الهجري والخامس الهجري سائرا في طريقه لا يعرف التوقف، "ولكن الملاحظ أن مستوى القرن الخامس الهجري كان دون مستوى القرن الرابع الهجري من حيث الابتكار وكمية الإنتاج، وتنوعه في مختلف مجالات الثقافة، فقد أصبح الاتجاه في القرن الخامس الهجري يؤكد على إعادة تنظيم المادة التي تحتويها مؤلفات القرون السابقة بشكل يجعلها أسهل منالاً وأكثر استيعاباً ، وهكذا ظهرت موسوعات التاريخ والأدب واللغة التي جمعت مواد كتب عديدة أسبق في مجالها"[١٩].

ويمكن تلخيص البيئة العلمية والفكرية في الأمور التالية:

(١) ازدهار الحركة الفكرية ووجود نهضة علمية حقيقية، شملت كافة أقطار وأمصار العالم الإسلامي في هذا العصر.

(٢) تشجيع الخلفاء والأمراء للعلماء والأدباء والفقهاء.

(٣) التحزب المذهبي، مع ركود الفكر السني في أول عصر الماوردي وفي ظل الدولة البويهية وازدهار الفكر الشيعي على حساب الفكر السني.

(٤) شيوع التقليد، وتفشي الدعوات الشيعية في العالم الإسلامي، مع ازدهار ملحوظ للدعوة الإمامية، والدعوة الإسماعيلية.

(٥) شيوع المناظرات بين الفقهاء وبين علماء الكلام.

(٦) استمرار الانفتاح على الثقافات الأجنبية، وفي هذا العصر، كان الأمر قد وصل إلى تغلغلها والتفاعل والانفعال بها، وإن ظهر تأثير الثقافة الفارسية أكثر.

---

[١٦]) الجِرزُ: الوعاء الحصين يحفظ فيه الشيء، (المعجم الوسيط ، ١٩٦٠م، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ص ٨٣).

[١٧]) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، ١٩٧٧م: البداية والنهاية، ط ٨ ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج ١١،ص ٣٠٢

[١٨]) جمال الدين، نادية ،١٩٨٣م: فلسفة التربية عند إخوان الصفا، القاهرة، ط٢ ، ص ٥٤.

[١٩]) مصطفى، علي خليل: قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصر ي الماوردي، مرجع سابق، ص ٤٠

(٧) ظهور الدعاوى الدينية المنحرفة، وكرد فعل متطرف للتطرف والتعصب المذهبي، ووصل الأمر إلى إنكار النبوات والرسالات، وهذه إن دلت فإنما تدل على بدء فقدان الروح وسيطرة العقل.

(٨) ظهور الجماعات العلمية وتدل كثرة المؤلفات على ازدهار حركة التأليف، وازدياد حركة نقل الكتب، مع تنافس العواصم الإسلامية في هذا المجال، وشغف الناس بالعلم على مستوى الخاصة والعامة[٢٠].

وفي وسط هذا الجو وهذه البيئة عاش الماوردي منتمياً إلى عصره بكله، وعكس فكره كل خصائص عصره.

المبحث الثاني: التعريف بالإمام أبي الحسن الماوردي

نسبه ومولده:

الإمام الماوردي هو" الإمام العلامة، أقضى القضاة، أبو الحسن ، علي بن مُحَمَّد بن حبيب البصري الماوردي، الشافعي، صاحب التصانيف، وهو أول من لقب بأقضى القضاة في عهد القائم بأمر الله العباسي رحمه الله تعالى، ولد في البصرة سنة أربع وستون وثلاثمائة للهجرة – لم تشر المصادر إلى تحديد اليوم والشهر الذي ولد فيه – توفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة خمسين وأربع مئة للهجرة ، وقد بلغ ستاً وثمانين سنة "[٢١] .

شخصيته العلمية:

تميز الماوردي بسعة علمه وتبحره في جميع فنون العلم، وصنف العديد من المؤلفات في الفقه، والتفسير والأصول، والأدب، ونالت مؤلفاته شهرة واسعة في الأوساط العلمية بسبب سلاسة أسلوبه في التأليف وحسن بيانه، وجمال العرض، وقوة الاستدلال، وحسن الاستنباط.

"برع في الفقه الشافعي ، كان من وجوه فقهاء الشافعية ومن كبارهم، أخذ الفقه عن أبي القاسم الصيمري بالبصرة، ثم عن الشيخ أبي حامد الإسفراييني ببغداد، وكان حافظاً للمذهب وله فيه كتاب الحاوي الذي لم يطالعه أحد إلا وشهد له بالتبحّر والمعرفة التامة بالمذهب"[٢٢].

شيوخه وتلاميذه:

كما هو معلوم أن الماوردي غلبت عليه دراسات الفقه والحديث، بمعنى أنه كان فقيها أصوليا بالدرجة الأولى، ولذا فإن شيوخه كانوا من الفقهاء والمحدثين:

[٢٠]) مصطفى، علي خليل: قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي، مرجع سابق، ص ٤٤-٤٥.

[٢١]) الذهبي، شمس الدين محمد،١٤١٢هـ: سير أعلام النبلاء، الطبعة ٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج ١٨ ، ص ٦٤

[٢٢]) المرجع السابق، ج ٣ ، ص ٢٨٢

*** شيوخه في الفقه:**

١- الصيمري: أبو القاسم عبد الواحد بن الحسين الصيمري (٣٥١هـ - ٤٣٦هـ) وكان أحد الفقهاء العراقيين، حسن العبارة، جيد النظر، وكان صدوقاً وافر العقل، جميل المعاشرة عارفا بحقوق العلماء.

٢- الإسفراييني: أحمد بن أبي طاهر مُحَمَّد بن أحمد الإسفراييني (٣٤٤هـ - ٤٠٦هـ) يقول عنه ابن كثير هو إمام الشافعية

٣- البافي : عبدالله بن مُحَمَّد البخاري الشيخ الإمام أبو مُحَمَّد البافي (ت ٣٩٨ هـ) ويذكر ابن الجوزي أنه كان من أفقه أهل وقته على مذهب الشافعي[٢٣].

*** شيوخه في الحديث:**

١- الحسن بن على بن مُحَمَّد الجبلي.

٢ - مُحَمَّد بن عدي بن زحر المنقري.

٣- جعفر بن مُحَمَّد بن الفضل المعروف بابن المارستاني[٢٤].

*** تلاميذه:**

١- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت صاحب تاريخ بغداد.

٢- مُحَمَّد بن عبد الله بن الحسن أبو الفرج البصري، قاضي البصرة.

٣- أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون البغدادي.

٤- عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد أبو الفضل المعروف بالهمذاني.

٥- مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الباقي بن الحسن بن مُحَمَّد بن طوق أبو الفضائل الربعي الموصلي[٢٥].

*** جهوده العلمية ومؤلفاته:**

قبل استعراض أهم مؤلفات الماوردي، أشير إلى أنه لم يُظهر شيئا من تصانيفه — حسب ما ذكره ابن خلكان — قبل وفاته حيث جمع كل تصانيفه في موضع، فلما أحس بدنو أجله قال لشخص يثق فيه: " الكتب التي صنفتها موجودة في المكان الفلاني، وأنا لم أظهرها لأني لم أجد نية إلا نية خالصة لله، فإن عانيت الموت ووقعت في النزع، فاجعل يدي في يدك، فإن قبضت عليها وعصرتها فاعلم أنه لم يقبل منه شيئاً منها، فاعمد إلى الكتب وألقها في دجلة ليلاً، وإن بسطت يدي، ولم أقبض على يدك فاعلم أنها قبلت وإني ظفرت بما كنت أرجوه من

[٢٣]) مصطفى، علي خليل: قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي، مرجع سابق، ص ٥٩-٦٠

[٢٤]) المرجع السابق، ص ٦٠

[٢٥]) مصطفى، علي خليل: قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصر ي الماوردي، مرجع سابق، ص ٦١

النية الخالصة ، قال ذلك الشخص: فلما قرب الموت وضعت يدي في يده فبسطها ولم يقبض على يدي، فعلمت أنها علامة القبول فأظهرت كتبه"[٢٦].

وفيما يلي بيان لأبرز مؤلفات أبي الحسن الماوردي مصنفه حسب الفنون كالتالي:

أولا – الكتب الدينية:

١- النكت والعيون: وهو تفسير القرآن الكريم وحققه خضر مُحَّد خضر، وراجعه عبد الستار أبو غدة.

٢- كتاب الحاوي الكبير: في الفقه الشافعي.

٣- كتاب الإقناع: في الفقه الشافعي.

٤- كتاب أعلام النبوة: وهو يبحث في إمارات النبوة.

ثانيا – الكتب السياسية:

١- الأحكام السلطانية: فيه حديث عن نظام الحكم.

٢- قوانين الوزارة.

٣- تسهيل النظر وتعجيل الظفر: وهو كتاب في السياسة أيضا.

٤- نصيحة الملوك

ثالثا – كتب في التربية ومنها:

١- أدب الدنيا والدين: الذي يبحث في الأخلاق التي يجب على الإنسان أن يتحلى بها، وهذا الكتاب الذي يعتبر من أفضل الكتب في علوم الأخلاق والتربية قد طبع مرات عديدة ومنها الطبعة التي حققها المرحوم مصطفى السقا، كما حققه مُحَّد فتحي أبو بكر.

٢- الرضاع وهو من الكتب المهمة في الفقه الأسري الذي تحتاج إليه الأسرة.

. وهكذا يتضح أن الماوردي ألف في مختلف ميادين العلوم والمعرفة ونال ثقة الفقهاء وإعجاب طلاب العلم، مما جعله عظيم القدر والجاه عند السلاطين وأئمة العلوم.

المبحث الثالث: كتاب أدب الدنيا والدين وقيمته التربوية

[٢٦]) ابن خلكان، أحمد بن محمد، ١٩٧٢م: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج ٣ ، ص ٢٨٣

التعريف بكتاب أدب الدنيا والدين

جمع فيه الكثير من الآداب والأخلاق، وقرر فيه المبادئ الأخلاقية الإسلامية مستدلاً بالآيات الكريمة من القرآن الكريم وبالأحاديث النبوية الشريفة، ثم بأمثال الحكماء، وآداب البلغاء وأقوال الشعراء، وآثار الأولياء والصالحين.

فالكتاب قيِّم، مفيد، نفيس، فريد في بابه، له وقع مؤثر في القلوب، وقد أفاض المؤلف رحمه الله تعالى في الحض على تهذيب الأخلاق، والحث على تطهير النفوس والألباب، وتحليتها بالفضائل والآداب.

والكتاب سماه الماوردي في الأصل كتاب: "البغية العليا في أدب الدين والدنيا، واختصر الاسم وشاع بين الناس بعنوان : كتاب أدب الدنيا والدين"[٢٧].

كتاب فيه منثور الكلم ومنظومه، وهو يمزج بين تراث العرب وتراث الأمم الأخرى بمادة غزيرة وتلاحم مستمر، حسن الصياغة والسبك مفيد في التربية والأخلاق.

ومع هذه المحاسن التي جمعها في كتابه هذا، إلا أن المحققين وأهل الحديث يأخذون عليه في كتابه أدب الدنيا والدين إيراده لمجموعة من الأحاديث والآثار النبوية بدون تحقيق أو تخريج لها أو بيان السند، وبعد التخريج والتحقيق لها أتضح أن بعضها موضوع والبعض الآخر ضعيف، وليس هذا منهجه في كتبه، بل هو في كتاب الحاوي الكبير يتشدد في معرفة الحديث وبيان صحته، ولعله هنا لا يرى بالتشدد في الأحاديث إذا كانت في فضائل الأعمال.

أبواب الكتاب:

اعتمدت في دراسة كتاب أدب الدنيا والدين ، شرح وتعليق كريم مُحَمَّد راجح ، طبعة دار اقرأ ، ١٤٠٥هـ ، وقد قسم الماوردي هذا الكتاب – حسب النسخة التي اعتمدتها في دراستي – إلى ستة أبواب على النحو الآتي[٢٨]:

الباب الأول: في فضل العقل وذم الهوى.

الباب الثاني: باب أدب العلم.

الباب الثالث: باب أدب الدين.

الباب الرابع: باب أدب الدنيا.

الباب الخامس: باب أدب النفس، وفيه ستة فصول:

الفصل الأول: باب مجانبة الكبر والإعجاب. الفصل الثاني: في حسن الخلق.

[٢٧]) مصطفى، علي خليل: قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصر ي الماوردي، مرجع سابق، ص ٦٤

[٢٨]) تراجع الملاحق للاستزادة.

الفصل الثالث: في الحياء. الفصل الرابع: في الحلم والغضب.
الفصل الخامس: في الصدق والكذب. الفصل السادس: في الحسد والمنافسة.
الباب السادس: باب آداب المواضعة، وفيه ثمانية فصول:
الفصل الأول: في الكلام والصمت. الفصل الثاني: في الصبر والجزع.
الفصل الثالث: في المشورة. الفصل الرابع: في كتمان السر.
الفصل الخامس: في المزاح والضحك. الفصل السادس: في الطيرة والفأل.
الفصل السابع: في المروءة. الفصل الثامن: في آداب منثورة.

فكر الإمام أبو الحسن الماوردي

*** العقل في فكر الماوردي:**

العقل من أعظم النعم التي وهبها الله تعالى للإنسان ،وميزه عن سائر الحيوانات ، وأسقط الله تعالى الواجبات والتكاليف عن المجنون وفاقد العقل ، فعن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال :" رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ وعن الصغير حتى يكبر وعن المجنون حتى يعقل"[٢٩]، فبالعقل تعرف حقائق الأمور ، ويفصل بين الحسنات والسيئات.

أقسام العقل عند الماوردي:

قسم الماوردي العقل إلى قسمين:

١- "العقل الغريزي – العقل الحقيقي – وله حد يتعلق به التكليف لا يجاوزه إلى زيادة ، ولا يقصر عنه نقصان ، وبه يمتاز الإنسان عن سائر الحيوان ، فإذا تم في الإنسان سمي عاقلاً ، وخرج به إلى حد الكمال"[٣٠]،وهذا هو مناط التكليف ، والذي إذا فقده الشخص تسقط عنه التكاليف الشرعية.

٢- "العقل المكتسب: هو نتيجة العقل الغريزي، وهو نهاية المعرفة وصحة السياسة، وإصابة الفكرة، وليس لهذا حد لأنه ينمو إن استعمل، وينقص إن أهمل، ونماؤه يكون بأحد وجهين:

أ- كثرة التجارب وممارسة الأمور.

ب- يكون بفرط الذكاء وحسن الفطنة"[٣١].

[٢٩]) أبو داود، سليمان بن الاشعث، ١٩٨٠م: سنن أبي داود، المكتبة العصرية، بيروت، ط٢، ج ٤، ص ١٣٩، رقم الحديث ٤٣٩٨، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

[٣٠]) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، ١٤٠٥هـ: أدب الدنيا والدين، الطبعة الرابعة، بيروت، دار اقرأ، ص ٨

[٣١]) المرجع السابق، ص ١٠.

والعقل المكتسب عند الماوردي يعمل في ضمن نطاق العقل الغريزي وتحت سيطرته، ولا يمكن انفكاكهما عن بعضهما، وقد ينفكان عن بعضهما في بعض الحالات، فيحدث نتيجة لذلك أن يفقد الانسان السيطرة على سلوكه وتصرفاته فيصبح كالأحمق الذي لا توجد حيلة لمداواته.

يقول الماوردي في ذلك : "العقل المكتسب لا ينفك عن العقل الغريزي ، لأنه نتيجة منه وقد ينفك العقل الغريزي عن العقل المكتسب ، فيكون صاحبه مسلوب الفضائل موفور الرذائل كالأنوك – الجاهل – الذي لا تجد له فضيلة ، والأحمق الذي قلما يخلو من رذيلة"[٣٢].

*** الهوى وتأثيره على العقل:**

الهوى من الأخلاق الذميمة ، وقد أمرنا الله تعالى في كتابه الكريم باتباع شرع الله تعالى ، وسنة نبيه ﷺ ،والنهي عن اتباع الهوى، قال تعالى:{ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى }[٣٣] فالهوى عند الماوردي : " يُنتج من الأخلاق قبائحها ، ويظهر من الأفعال فضائحها ويجعل ستر المروءة مهتوكاً ، ومدخل الشر مسلوكاً "[٣٤].

تأثير الهوى على العقل:

يبين الماوردي أن للهوى تأثير بالغ على النفس، فعندما يستحكم على العقل ويسيطر عليه، يستحيل في هذه اللحظة اجتماع الحكمة مع الهوى، وتأثير ذلك من وجهين:

الوجه الأول : "يقوى سلطان الهوى بكثرة دواعيه حتى تستولي عليه غلبة الهوى والشهوات فيكل العقل عن دفعها ، ويضعف عن منعها ، مع وضوح قبحها في العقل المقهور بها، وهذا يكون في الأحداث أكثر وعلى الشباب أغلب لقوة شهواتهم وكثرة دواعي الهوى المتسلط عليهم"[٣٥].

يبين الماوردي في الوجه الأول ، حال الصراع بين الهوى والعقل ، وعند تغلب سلطان الهوى على العقل ، فإنه يضعف عن دفعها ومنعها ، وتصبح النفس أسيرة للشهوات ، وأكثر من يقع فريسة تسلط الهوى على العقل هم الأحداث والشباب ، وقد وردت التوجيهات النبوية للشباب بكبح جماح شهوة الجنس بالزواج ،فعن عبدالله بن

[٣٢]) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد: أدب الدنيا والدين، مرجع سابق، ص ٢٠
[٣٣]) سورة النازعات: آية ٤٠
[٣٤]) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد: أدب الدنيا والدين، مرجع سابق، ص ٢٣
[٣٥]) المرجع السابق، ص ٢٦

مسعود ﷺ قال : كنا مع النبي ﷺ فقال :" يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج ؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"[٣٦].

الوجه الثاني: أن يزين الهوى للعقل الأشياء القبيحة أنها حسنة، ويلبّس عليه سوء عمله فيرى الأعمال السيئة حسنة، والضرر نفعاً، وفي ذلك يقول الماوردي: " أن يخفي الهوى مكره، حتى تتموه أفعاله على العقل، فيتصور القبيح حسناً، والضرر نفعاً، وهذا يدعو إليه أحد شيئين:

١- إما أن يكون للنفس ميل إلى ذلك الشيء فيخفى عليه القبيح لحسن ظنها وتتصوره حسناً لشدة ميلها.

٢- استثقال الفكر في تمييز ما اشتبه، وطلب الراحة في اتباع ما يسهل حتى يظن أن ذلك أوفق أمريه وأحمد حاليه ، اغتراراً بأن الأسهل محمود والأعسر مذموم ، فلن يعدم أن يتورط بخدع الهوى ، وزينة المكر في كل مخوف حذر ، ومكروه عسر"[٣٧].

وعلاج غلبة الهوى على العقل عند الماوردي :" أن يجعل فكر قلبه حكماً على نظر عينه ، فإن العين رائد الشهوة ، والشهوة من دواعي الهوى ، والقلب رائد الحق ، والحق من دواعي العقل"[٣٨].

*** فكر أبو الحسن الماوردي وأثره في الفكر الإسلامي:**

إن أفكار الماوردي في الصورة العامة تمثل وستظل تمثل النموذج المثالي للحقيقة في جوهرها وفي واقعها الممتد عبر الأزل، وملامح تلك الصورة تعتبر علامات بارزة في تاريخ الفكر الإسلامي، موسومة بطابعه، تشير إلى الماوردي دائماً، وتبين موقعه على خارطة الفكر الإسلامي.

ومن أبرز ملامح الفكر العام للماوردي ما يلي:

(١) التوازن بين الدين والدنيا، فهو يقوم في كتابه أدب الدنيا والدين على هذه القاعدة، ويذكر أن " أعظم الأمور خطراً وقدراً ، وأعمها نفعاً ورفداً ما استقام به الدين والدنيا ، وانتظم به صلاح الآخرة والأولى لأن باستقامة الدين تصح العبادة، وبصلاح الدنيا تتم السعادة"[٣٩].

إن صيغة التوازن واضحة جلية، توازن الدين والدنيا في صيغة تكاملية، إذ أن كلا منهما يكمل الاخر ويتممه.

(٢) التكامل والتوازن بين الوحي والعقل ،وفي ذلك يقول الماوردي : " فالعقل ، جعله الله للدين أصلاً، وللدنيا عاداً ، فأوجب التكليف بكماله، وجعل الدنيا مُدَبّرةً بكماله، وألف به بين خلقه مع اختلاف مذاهبهم،

---

[٣٦]) البخاري، محمد بن إسماعيل، ١٤٢٣هـ: صحيح البخاري، ط١ ، دار بن كثير، دمشق، ج ٢، رقم الحديث ٤٧٧٨

[٣٧]) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد: أدب الدنيا والدين، مرجع سابق، ص ٢٨

[٣٨]) المرجع السابق، ص ٢٩.

[٣٩]) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد: أدب الدنيا والدين، مرجع سابق، ص ١٧

ومآربهم وتباين أغراضهم ومقاصدهم، وجعل ما تعبدهم به قسمين : قسما وجب بالعقل فوكده الشرع، وقسما جاز في العقل فأوجبه الشرع فكان لهما عماد"[٤٠]، فكما أن الوحي مهم، فالذي يفهم عنه هو العقل، ومن هنا أعطى الماوردي العقل أهمية وذكر أن آفة الإنسان في اتباع هواه.

(٣) نظريته في التكليف الشرعي تتمثل في تقرير قدرة العباد على ما كلفوا به من أعمال، وهذا التكليف جامع نفعي الدنيا والآخرة وليس قاصراً على واحد منها ويذهب إلى ما هو أبعد من مجرد فرض التعبد والإلزام بفروض لم توجبها ضرورة أو حاجة إلهية، وإنما فرضتها نعمة إلهية، تفضلا من ناحية، ومصلحة للعباد من ناحية أخرى.

وهو يجعل مناط التكليف دائراً على ثلاثة أمور:

أ- " العقائد: فالمكلف مثبت للتوحيد وما يتفرع عنه من إثبات للصفات الإلهية، وإثبات البعثة للرسل، والتصديق بما جاء به نبي الاسلام.

ب – أوامر الله تعالى: فالمؤمن يجب أن ينصاع لما أمر الله تعالى به مما يقع على الأبدان، والأموال وعليها معا.

ج- النواهي والزواجر : مما أمر المكلفون بالكف عنه إما إحياءً لنفوسهم أو صلاحاً لأبدانهم"[٤١].

(٤) نقاط الأصالة الإسلامية هي أكثر نقاط منهجه انسجاماً مع عصره، وقد تركت أفكاره آثاراً إيجابية في مجال توحيد الفكر والعمل، وبعثت الحيوية في الأمة، التي تناوشتها الانقسامات على المستوى النظري والعملي.

(٥) مع الالتزام الإسلامي فإن فكر الماوردي "منفتح على الثقافات الأخرى السائدة في عصره، فهو لم يتجاهل الجيد من الثقافة الفارسية، وكذلك الثقافة اليونانية، وعناصر الفكر الهندي، ففي فكره أمشاج من هنا وهناك، إلا أن عنصر الإسلامية أغلب"[٤٢].

(٦) هو مدرك لمشاكل عصره تماما، واقعي في اقتراح الحلول، لم يتجاهل المستجدات في المجالات السياسية، والاجتماعية ومع نفاذ رؤيته؛ رأى أن الأوضاع القائمة ضارة، والحل الحقيقي يكمن في الإسلام، وهو الكفيل بإصلاح الأحوال. فهذه أبرز ملامح فكر أبي الحسن الماوردي، والتي نثرها في جنبات كتابه أدب الدنيا والدين، ويصعب حصرها بالكامل، ولعلنا وقفنا على أبرزها.

---

[٤٠]) المرجع السابق، ص ١٨

[٤١]) مصطفى، علي خليل: قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي، مرجع سابق، ص ٦٩-٧٠

[٤٢]) المرجع السابق، ص ٧١

التربية والتعليم في فكر الماوردي

*** فضل العلم ومراتبه:**

بدأ الماوردي ببيان أفضل العلوم التي ينبغي للمسلم أن يتعلمها، ولا يسعه الجهل بها، وقد قسم الماوردي أفضلية العلوم إلى قسمين:

القسم الأول : " أولى العلوم وأفضلها علم الدين ؛ لأن الناس بمعرفته يرشدون ، وبجهله يضلون ، إذ لا يصح أداء عبادة جهل فاعلها صفات أدائها ، ولم يعلم شروط إجزائها "[٤٣].

وهذا العلم الذي ذكره الماوردي، هو العلم الواجب على كل مسلم بالغ عاقل أن يتعلمه، فيتعلم ما أوجبه الله عليه وما حرمه الله تعالى عليه، حتى يعبد الله تعالى على علم وبصيرة.

القسم الثاني : "جملة العلم إذا لم يقم بطلبه من فيه كفاية ، وإذا كان علم الدين قد أوجب الله تعالى فرض بعضه على الأعيان ، وفرض جميعه على الكفاية ، كان أولى مما لم يجب فرضه على الأعيان ولا على الكفاية"[٤٤].

ويقصد الماوردي بالقسم الثاني من أقسام العلم هو بقية العلم الشرعي الذي هو من فروض الكفاية إذا قام به البعض سقط الاثم عن الباقين ، ومن ذلك قول الله تعالى:{ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ }[٤٥] ويدخل في هذا المعنى العلوم الدنيوية الضرورية لخدمة الأمة والمجتمع .

*** ما يجب على العلماء من الأخلاق:**

١- "التواضع ومجانبة العجب ، لأن التواضع عطوف ، والعجب منفر"[٤٦].

٢- "العمل بعلمه ، وحث النفس على أن تأتمر بما يأمر به"[٤٧].

٣- "أن يجتنب أن يقول ما لا يفعل ، وأن يأمر بما لا يأتمر ، وأن يسر غير ما يظهر"[٤٨].

٤- "أن لا يبخلوا بتعليم ما يحسنون ، ولا يمتنعوا من إفادة ما يعملون ، فإن البخل به لؤم وظلم ، والمنع منه حسد وإثم"[٤٩].

---

[٤٣]) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد: أدب الدنيا والدين، مرجع سابق، ص ٣٣

[٤٤]) المرجع السابق، ص ٣٤

[٤٥]) سورة التوبة: آية ١٢٢

[٤٦]) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد: أدب الدنيا والدين، مرجع سابق، ص ٨٢

[٤٧]) المرجع السابق، ص ٨٧

[٤٨]) المرجع السابق ، ص ٨٩

٥- "أن يقصدوا وجه الله بتعليم من علموا ، ويطلبوا ثوابه بإرشاد من أرشدوا ، من غير أن يعتاضوا عليه عوضاً ، ولا يلتمسوا عليه رزقاً"[٥٠].

*** آداب طالب العلم:**

١- التودد والتلطف والتذلل للعالم : وفائدته أن العالم يظهر مكنون علمه لمن تودد إليه ، وألان له الجانب يقول الماوردي :" اعلم أن للمتعلم في زمان تعلمه ملقاً – وداً- وتذللاً ، إن استعملها غنم ، وإن تركها ندم ؛ لأن التملق للعالم يظهر مكنون علمه ، والتذلل له سبب لإدامة صبره ، وبإظهار مكنونه تكون الفائدة وباستدامة صبره يكون الإكثار"[٥١].

٢- تواضع المتعلم للعالم: بأن لا يأنف أن يتعلم العلم من صغير أو كبير، أو ممن هو دونه في منزلة الدنيا، فإن العلماء قد استحقوا التعظيم بعلمهم لا بالمال والقدرة، يقول الماوردي:" ولا يمنعه من ذلك علو منزلته إن كانت له ، وإن كان العالم خاملاً ، فإن العلماء بعلمهم قد استحقوا التعظيم ، لا بالقدرة والمال"[٥٢].

٣- الاقتداء بالعلماء في علمهم وأخلاقهم حتى يألفها ، وينشأ عليها ، يقول الماوردي : "وليكن مقتدياً بهم في رضى أخلاقهم ، متشابهاً بهم في جميع أفعالهم ، ليصير لهم آلفاً ، وعليها ناشئاً ، ولما خالفها مجانباً"[٥٣].

٤- احترام العالم وتقديره واحتشامه والحذر من التسلط عليه ، يقول الماوردي : "وليحذر المتعلم التبسيط – ترك الاحتشام – على من يعلمه ، وإن آنسه ، والادلال – الاجتراء- عليه وإن تقدمت صحبته"[٥٤].

*** الفكر التربوي عند الماوردي:**

يمكن أن نلاحظ أن فكر الماوردي التربوي متأثر تماما بنظرته العامة في الحياة وبنسقه الفكري، " المنتمي إلى الفقه الشافعي، والأشاعرة، الذين عبر عنهم أصدق تعبير ، وكان فكره التربوي منبثقاً عن فكرهم، ولقد أكد على أهمية تفاعل الدارس مع تيارات عصره الفكرية، ثم الوقوف على الموازين التي يزن بها هذه التيارات من القرآن الكريم والسنة الشريفة حتى يحدد موقفه عن بينة وبصيرة، وتحديد دور العقل والنقل في ميادين التفكير بأسلوب يتسق مع الأصول الكائنة في القرآن الكريم والسنة المطهرة"[٥٥].

---

[٤٩]) المرجع سابق، ص ٩٠
[٥٠]) المرجع السابق، ص ٩٧
[٥١]) المرجع السابق، ص٧٧
[٥٢]) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد: أدب الدنيا والدين، مرجع سابق، ص٧٨
[٥٣]) المرجع السابق، ص٧٨
[٥٤]) المرجع السابق، ص ٧٨
[٥٥]) الكيلاني، ماجد عرسان، ١٩٨٥م: تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٢٨

فالماوردي في تيار الفكر التربوي يؤكد النظرة الوسطية، وقد ترجم هذه النظرة إلى مبادئ وأفكار أوردها مصطفى[٥٦] فيما يلي:

(١) يؤكد الماوردي على أهمية التكليف، لأن فيه وعن طريقه يُعَدّ الفرد للدنيا والآخرة، وتتحقق السعادة فيها وتأتي أهمية تربية الإنسان في هذا الإطار، وأهمية تربية العقل، وأهمية التربية على أصول الشرع وأحكامه.

(٢) وفي هذا الإطار تأتي أيضا آراؤه في أهمية التربية وفهمها، وآراؤه في المنهج، فكل العلوم شريفة، لأنها تتكامل لتحقيق السعادة الإنسانية وأهمها العلوم الدينية، ومع هذا فالتخصص مهم وحسن.

(٣) وتأتي آراؤه في التعليم، حيث يرى أنه لا بد من مراعاة الفروق الفردية، ويدرك أهمية التشويق والتدرج في طلب العلم، وغير ذلك من آراء تؤكد ثقب نظرة الرجل في هذا المجال.

(٤) يدعو الماوردي إلى حرية الفكر وترك التقليد، ولذا نراه ينبه المتعلم – مثلا – على ألا يبالغ في احترام آراء العالم بحيث ينتهي به إلى التقليد.

(٥) كل آرائه التربوية تعتمد على نظرة صحيحة للإنسان وإمكانياته، فهو يبلور نظرة للإنسان وإمكاناته ومكوناته، مما يساعد على فهم تصور الإنسان عنده، وأهداف تربيته وغير ذلك.

(٦) يطرح تصوراً للمجتمع الذي هو حاضن التربية، ولا شك أن هذه التصورات تسهم في صياغة الأهداف التربوية، وتحديد شكل الإنسان المراد لهذا المجتمع.

(٧) يتكلم عن نظرية المعرفة، من حيث إمكانها، وطرقها، وأهمية العقل في تحصيل المعرفة، مما يمكن اعتباره أساساً مهما من أسس التربية.

(٨) يتكلم عن الأخلاق وأدب النفس، ومكارم الأخلاق، ولا تخفى أهمية ذلك بالنسبة للتربية والتعليم.

(٩) إن رأيه في العالم والمعلم وإعداده وصلة العالم بالمتعلم وصلة المتعلم بالعالم، كل هذا يمكن أن تستفيد منه التربية.

إن أفكار الماوردي في هذا المجال تأتي في سياق الفكر الإسلامي الصحيح، وتعد طرحا جيدا يظل دائما على المصادر الأصلية وعلى روح الإسلام، مع الاستفادة من تجارب الاخرين، فهو نموذج جيد لطريقة التناول، ولكثير من الأفكار الرائدة.

[٥٦]) مصطفى، علي خليل: قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي، مرجع سابق، ص ٧٣-٧٤

الخاتمة

يعتبر كتاب الماوردي ـ رحمه الله تعالى ـ البغية العليا في أدب الدين والدنيا، من أفضل الكتب التي استمتعت بقراءتها، واستفدت من الأفكار والآراء التربوية والمعلومات القيمة التي نثرها الماوردي في كتابه.

فالكتاب يمتاز بسهولة عباراته، ووضوح أسلوبه، ويفهمه العالم والعامي، ولا يستغني عنه طالب العلم في تزكية نفسه وتهذيب سلوكه وأخلاقه، فما أحوجنا اليوم إلى تعلم الأدب علماً وسلوكاً، تأسياً بنبينا وحبيبنا مُحَمَّد ﷺ.

والكتاب في مجمله يحتوي على ثروة تربوية هائلة، لا يمكن للباحث أن يحصي جميع المبادئ والآراء التربوية للماوردي في هذا البحث الموجز، فالكتاب يحتاج إلى إعادة في التحقيق والتهذيب، والتعليق على بعض الآراء والأفكار والمعلومات، وإخراجه بصورة عصرية، يسهل على الباحث والقارئ قراءته، والاستفادة من مضمون محتوياته، فجميع طبعات الكتاب لا تتوافق مع مكانة الماوردي العلمية والأدبية.

نتائج البحث:

١- أبرز الكتاب شخصية الماوردي العلمية، وسعة علمه ودقة فهمه لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وهذا بدوره يعكس الحالة العلمية التي كانت في عصر الماوردي.

٢- الآراء التربوية لدى الماوردي نابعة من الكتاب والسنة، واستنباطاته وآراؤه التربوية صالحة في كل زمان ومكان، ويمكن تطبيقها في البيت والمدرسة والمجتمع.

٣- يحتوي الكتاب على عدد كبير من الأفكار والمبادئ التربوية، تحتاج إلى توسع في الدراسة، وتدقيق في القراءة، ويحتاج إلى جهود وتضافر العلماء والباحثين في سبيل إخراج الكتاب بصورة مشرفة تليق بعلم الماوردي وفكره التربوي.

٤- إن الكتابات التربوية والأفكار التربوية والتعليمية لدى المفكرين المسلمين، ربما تأتي منفصلة، وربما تأتي منبثة في ثنايا كتبهم وتحتاج إلى قراءة متمعنة واعية.

التوصيات العلمية:

١- الاستفادة مما ورد في كتاب الماوردي البغية العليا في أدب الدين والدنيا من أفكار تربوية، وبلورتها في سلوكيات ممارسة في الحياة العلمية والعملية.

٢- المساهمة في دفع التيار الفكري التربوي العام من خلال حث الباحثين والمختصين في البحث عن الآراء والأفكار والمبادئ التربوية لدى علماء المسلمين، والاستفادة من تلك الخبرات وتطبيقها في المؤسسات التعليمية.

٣- إعادة تحقيق الكتاب تحقيقاً علمياً، وشرح الآراء التربوية التي تضمنها الكتاب بأسلوب عصري، يمكن للقارئ الاستفادة من الأفكار والآراء والتطبيقات التربوية المتضمنة في الكتاب.

٤- ترجمة الكتاب إلى اللغات الأجنبية، ونشرها في الجامعات والمؤسسات التربوية الأجنبية لإبراز نبوغ علماءنا المسلمين الأوائل وتفوقهم في المجال التربوي.

وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد،،،

قائمة المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم.
٢- ابن خلكان، أحمد بن مُحَمَّد، ١٩٧٢م: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
٣- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، ١٩٧٧م: البداية والنهاية، ط ٨ ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٤- ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم ، ١٤٢٦ هـ: لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ، ج ١
٥- أبو داود، سليمان بن الاشعث، ١٩٨٠م: سنن أبي داود، المكتبة العصرية، بيروت، ط٢.
٦- أبو سليمان، عبد الوهاب إبراهيم ، ١٤٣٣هـ: كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، ط١، الرياض، مكتبة الرشد – ناشرون.
٧- أحمد، نصار سيد، واخرون، ١٤٢٩هـ: المعجم الوسيط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١.
٨- البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل، ١٤٢٣هـ: صحيح البخاري، ط١ ، دار بن كثير، دمشق.
٩- جمال الدين، نادية ،١٩٨٣م: فلسفة التربية عند إخوان الصفا، القاهرة، ط٢.
١٠- خياط، مُحَمَّد، ١٩٩٦م: التحدي الإعلامي في مجال التربية، دراسات تربوية واجتماعية، كلية التربية، جامعة حلوان، العدد الأول.
١١- الذهبي، شمس الدين مُحَمَّد،١٤١٢هـ: سير أعلام النبلاء، الطبعة ٨، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٢- زيادة، مصطفى عبد القادر ، ١٤٢٧هـ: تجديد الفكر التربوي العربي ومطالبه في القرن ٢١ ، مكتبة الرشد، الرياض، ط٣.
١٣- العلواني، طه ،١٩٩٢م: الأزمة الفكرية المعاصرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا.
١٤- الكيلاني، ماجد عرسان: تطور مفهوم النظرية التربوية، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٥م.
١٥ – الماوردي، أبو الحسن علي بن مُحَمَّد، ١٤٠٥هـ: أدب الدنيا والدين، الطبعة الرابعة، بيروت، دار اقرأ.
١٦- مصطفى، شريف،١٩٩٠م: الفكر التربوي الإسلامي، دائرة التربية والتعليم، الأونروا، عمان.
١٧- مصطفى، علي خليل ١٤١١هـ: قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي من خلال كتابه أدب الدنيا والدين، دار الوفاء، المنصورة، ط ١.
١٨- النباهين، على ، ١٩٩٥م: أصول التربية الإسلامية، جامعة الأزهر، القاهرة، ط١.